حنانيا ... أقدم الكنائس في العالم

تعتبر كنيسة حنانيا الأقدم في مدينة دمشق بعد الكتدرائية المريمية ومن أقدم الكنائس في العالم التي تعود للحقبة الرومانية، حيث تقع في زقاق جعفر أحد أحياء دمشق القديمة التاريخية العريقة في حي باب توما ، وتقع الكنيسة القديمة تحت الأرض ينزل إليها بدرج يوصل إلى تحفة تاريخية تعود إلى أكثر من 2000 عام.

كنيسة حنانيا الأقدم في مدينة دمشق بعد الكتدرائية المريمية ومن أقدم الكنائس في العالم التي تعود للحقبة الرومانية، حيث تقع في زقاق جعفر أحد أحياء دمشق القديمة التاريخية العريقة في حي باب توما ، وتقع الكنيسة القديمة تحت الأرض ينزل إليها بدرج يوصل إلى تحفة تاريخية تعود إلى أكثر من 2000 عام.

و يبين التقليد الشرقي بأنه كان من الأثنين والسبعين من تلاميذ المسيح الذين ذكرهم لوقا، وأنه أتى إلى دمشق بعد رجم القديس استفانوس شهيد المسيحية الأول ثم رسمه الرسل أسقفاً لكنيسة دمشق، بشر القديس حنانيا في البلاد السورية وحكم عليه الحاكم الروماني ليسينيوس بالموت رجماً بالحجارة خارج سور دمشق في اليوم الأول من شهر تشرين الاول ونقل المسيحيون جثمانه إلى داخل المدينة.

وبخصوص بيته الذي يقع في دمشق القديمة داخل السور،و منذ القدم تحول هذا البيت إلى كنيسة باسم كنيسة الصليب، إننا نجهل تاريخ هذا التحول ولكنه أكيد قبل الفتح الإسلامي.

ففي المجلة العلمية (سوريا العدد الخامس عام 1924) ورد أن الكونت اوستاش دي لوريه مدير البعثة الأثرية في سورية قد قام بحفريات سنة 1921 في مدينة دمشق في منطقة تعرف باسم حنانيا بالقرب من الباب الشرقي، حيث كانت هناك كنيسة باسم كنيسة الصليب المقدس أو بالأحرى المصلبة إحدى الكنائس التي سمح وليد الأول للمسيحيين باستعمالها بدلاً من الجامع الكبير " جامع بني أمية".

فالسيد دي لوريه اكتشف موضوع الهيكل الذي أظهرت أن هذه الكنيسة كانت هيكلاً وثنياً كما تشهد على ذلك الكتابة التي شوهدت فيه باليونانية وترجمتها " إلى إله دمشق السماوي . و هيكل حيث يرى ثور محدوب تحت بلوطة"، ويعود هذا الهيكل إلى القرن الثاني بعد المسيح.

ولا يستغرب القارئ بوجود هيكل وثني في مكان عبادة المسيحيين، فالتاريخ يخبرنا أن الإمبراطور أدريانوس (117.138) بنى هياكل وثنية على جبل الجلجلة وفوق مغارة بيت لحم خصوصاً لإبعاد المسيحيين عن هذه الأماكن المقدس. وتثبت أيضاً أنها كانت كنيسة بيزنطية تحولت بعدها إلى جامع، غما تحول أماكن العبادة في الشرق من مذهب إلى آخر في نفس المكان إلا برهان على أن ذلك المكان هو بالحقيقة مكان عبادة.

وبعد بضعة قرون يتكلم ابن عساكر أحد الكتاب العرب عن كنيسة كانت موجودة قرب السور بين باب توما وباب شرقي قد هدمت سنة 700م، وكذلك يقول الراهب الفرنسيسكاني بوجيبونسي سنة 1347 " أنه على أيامه قد تحول إلى جامع".

ونرى بعد بضعة سنوات عام 1363 يقول الكاتب العربي ابن شاكر أن الخليفة الأموي وليد الأول أعطي للمسيحيين خربة كنيسة الصليب بدلاً من كنيسة يوحنا المعمدان التي تحولت لجامع بني أمية الكبير.

وفي أوائل القرن السابع عشر يصف الأب كواريسميو أحد الأباء الفرنسيسان الكنيسة، قائلاً " يقع البيت في القسم الشرقي من المدينة، وهو عبارة عن بيت تحت الأرض ينزل إليه من الجانب الشرقي عبر باب ضيق ودرج،وهو مثلث الشكل وضيق جداً طوله من الجانبين عشرين قدم وعرضه عشرة أقدام، ويدخله النور من الأعلى عبر نافذتين مدورتين.

هذا وقد أثبت الأب أنطونيو ديل كاستيلو الفرنسيسكاني أن البيت كان مكرماً من قبل المسيحيين والأتراك (الإسلام) وعندما كان الأتراك يحرسونه سنة 1630 كانو يشعلون فيه قناديل عديدة، وفي عام 1820 استملك الآباء الفرنسيسكان التابعون لحراسة الأرض المقدسة، المكان المقدس فبنوه وكرسوه للعبادة، لكن هدم البناء كله سنة 1860 في الثورة وقد أعيد بنائه عام 1867، وقد أخذ شكله الحالي عام 1973 بعد ترميمه و كان أخر ترميم له كان منذ أربع سنوات ، فهو عبارة عن مغارة مكونة من غرفتين ينزل إليه من درج من إحدى وعشرين درجة.

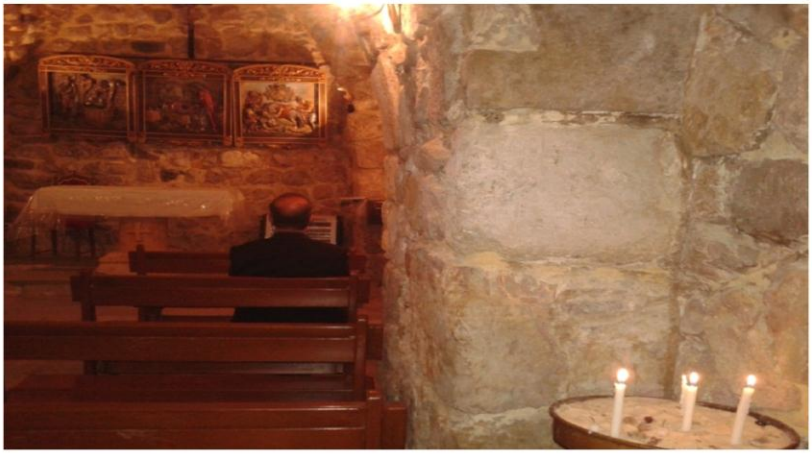

مكث في هذا المعبد مهندس المسيحية ورسول الأمم بولس الرسول مدة من الزمن ومنه نهل من النبع الذي لاينضب وهو نبع المسيحية فأضحى من محارب المسيحية وعدوها اللدود إلى ناشر لها ومحارب من أجلها.

هذا البيت الدمشقي الذي يعود إلى الحضارة الرابعة ، يقصده السواح من كل أنحاء العالم لكن بسبب الحرب التي تعيشها البلاد تراجعت السياحة وقل عدد الزوار وكان أخر وفد يزور المكان من وزارة السياحة الفرنسية ليلة الميلاد بتاريخ 24 12 2013.

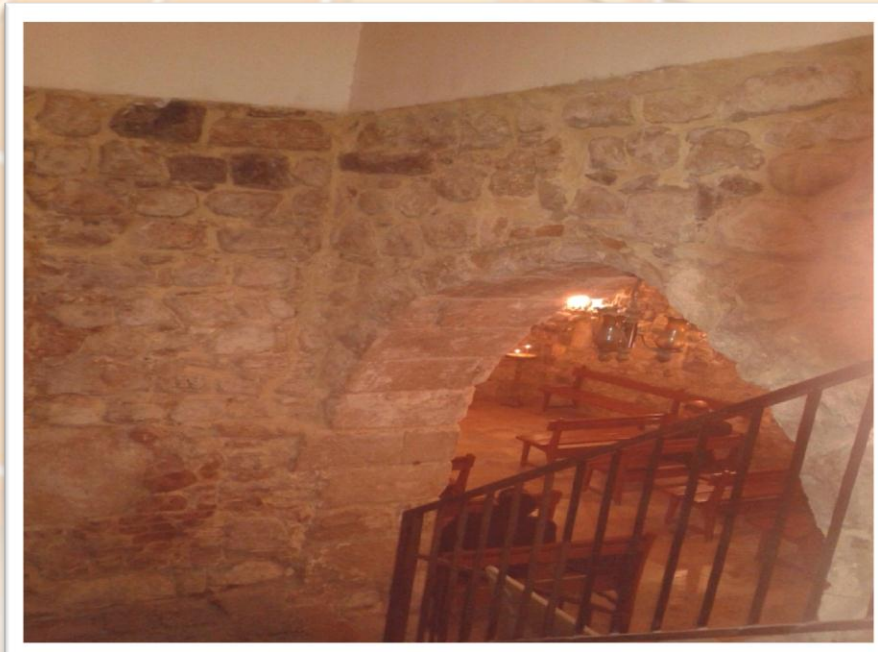

ربى شلهوب